محاضرة بعنوان الحمام كفضاء اجتماعي:

تمهيد:

عرف فضاء الحمام تطورا ملحوظا عبر التاريخ منذ الحضارة الرومانية مرورا بالحضارة الإسلامية فالعهد العثماني، ويلاحظ أن الرومان هم من ابتكروا استخدام الحمامات الشعبية، حيث أنها لم تكن للاستحمام فحسب بل كانت على شكل أماكن للمطالعة والرياضة أيضا، حيث كانت مبنى اجتماعي يمكن لأي شخص يمارس فيه القراءة أو التسوق، أو يلتقي بأصحابه أو مناقشة بعضا من المسائل الاجتماعية والسياسية،...

أما في العهد العثماني فقد انتشرت الحمامات إلى سببين أحدهما توافر المياه المعدنية الطبيعية وثانيهما الأخذ بما جاء في الشريعة الإسلامية من نصوص تؤكد على أهمية النظافة والطهارة، وعن هندسة الحمامات فقد تميزت بأسلوب متميز جعل هذا الفضاء موطنا للحرارة والرطوبة، وهذا ما جعله فضاءا مهما في حياة الناس من خلال الحاجة إلى الدفء والتعرق، حيث اهتم المعماريون بكثرة بتأمين درجة الحرارة المناسبة لكل قاعات الحمام، فاتخذوا تدابير من شأنها أن تحافظ على درجة حرارة الماء من جهة، ومن جهة ثانية كل ما يضمن المحافظة على جو حار عبر تسخين الجدران الداخلية لهذا المبنى.

وقد تأثرت أشكال الحمامات بالعمارة البيزنطية خاصة في أشكال القباب ذات الفتحات الزجاجية للإنارة والتهوية الموجودة في قمة القبة وتحت القبة مباشرة، وعن تموقع الحمام فقد كان يتم اختيار وسط الحي كمكان له وهذا يدل على تواجده بالقرب من مركز جميع النشاطات الاجتماعية، ومما هو ملاحظ على العثمانيين أنهم كانوا يعمدون على بناء الحمامات في كل مدينة تقع تحت أيديهم بغرض إشراك الأهالي في فوائد هذا الفضاء الاجتماعي والنفعي.

1- مورفولوجية الحمام:

تميز الحمام بهندسته المريحة وألوانه الزاهية ونقوشه وبنية أرضية من الرخام أو السيراميك،... والأبواب الصغيرة بما يتلاءم وحفظ الحرارة والمداخل الضيقة لتفادي دخول التيارات الهوائية للداخل، توفره على

أحواض رخامية أو ما يصطلح عليه في بعض مناطق الوطن بـ" الجابيات الصغيرة التي تحوي على حنفيتين أحدها للماء البارد والأخرى للماء الساخن.

2- الحمام كفضاء اجتماعي:

ما يمكن استخلاصه من هذا الفضاء نوجزه في النقاط الأتي ذكرها:

2-1 **الحمام فضاء للراحة والاطمئنان النفسي:** فأجواء الحمام تبعد القلق والضيق وبعث حالة من الاسترخاء والنشوة فهو يعمل على لعب دور سيكولوجي من خلال تهدئة الاضطرابات النفسية التي تمر بها المرأة في حياتها اليومية، فزيارة الحمام كطقس ضروري يخفف من حدة القلق، وإلى جانب الاغتسال الذي يخلق نوعا من الراحة النفسية فهو فضاء للتعايش الأنثوي حيث تفضل المرأة الذهاب إليه برفقة الجيران أو الأصدقاء أو الأقارب، وهذا لان المرأة تجد نفسها مع الجماعة حيث تشعر بالارتياح والرضا.

2-2 فضاء لكسب وتبادل المعارف: يعتبر الحمام أفضل وسيلة إعلام منه تبث المرأة ما تريد إبلاغه لمثيلاتها، ومنه أيضا تلتقط كل المعلومات وخفايا الحي أو المدينة التي تقطن فيها، فهو فعلا فضاء تحيا فيه اخر القصص وتعالج فيه آخر الأخبار، ومدة الحديث وتنوعه مرهون بالمدة التي تقضيها المرأة في الحمام اذ كلما طالت المدة طال الحديث وتنوع، كما تضرب فيه النسوة المواعيد واللقاءات وتتعدد وتنوع المسائل والقضايا محل النقاش والتي على رأسها الزواج مسائل الزواج والطلاق، أخبار الحي، الولادة، العلاج،...وما يعرض في شاشات التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي وكذا أخر صيحات الموضة والأزياء،... كما يلاحظ في الحمام عقد علاقات جديدة بسهولة لتبادل الأخبار بل وتؤدي في كثير من الأحيان إلى الخطبة والزواج على الرغم من أن هذه الظاهرة قد تقلص حجمها إلا أنهن لازلن بعض الأمهات يعتبرن الحمام أفضل وسيلة لاختيار العروس.

3- دور الحمام في الطقوس الاجتماعية:

3-1 طقوس العروس: فزيارة الحمام تعد طقس من طقوس العرس والأفراح لا تكتمل إلا بدخول الحمام، وكأن ذهاب العروس إلى الحمام قبل زفافها يشكل فاصلا بين حياة العزوبية والحياة الزوجية أو انتقال العروس من وضعية اجتماعية إلى أخرى وهذا ما أطلق عليه ***فون غيناب Reynold van-gennep*** بطقوس العبور، فيوم حمام العروس هو يوم فرحة للنساء لها طقوسها واحتياجاتها كإضاءة الشموع

والزغاريد، و... وما يلاحظ في هذا اليوم هو حضور العروس برفقة عدد من النساء من أقاربها حيث يخصص لها مكان خاص بها في فضاء الحمام، ...

2-3 **طقوس مولود جديد:** فدخول مولود جديد لأول مرة في الحمام والترحيب به له تفسير قداسي يعتمد على أن المولود الجديد هو بمثابة ملائكة زار الحمام لأول مرة ،...

3-3 طقوس فك الحداد: ويعتبر فضاء الحمام نهاية للأحزان فالماء الذي يغسل الجسد من الأوساخ يغسل من الأحزان أيضا.

4- الطقوس التطهيرية في فضاء الحمام:

1-4 **الطهارة والنجاسة:** والتي تتمثل في الغسل من الحيض، الجنابة، النفاس، الجنابة، بمعنى أن الجسد معرض للنجاسة وهو يؤدي وظائفه البيولوجية اليومية، ومن ثم ففضاء الحمام تجده المرأة كمكان للاغتسال والتنظيف والتطهر

2-4 **فضاء الحمام مطهر للجسد من الأمراض:** فالحمام بفضل حرارته التي تسبب التعرق الكثير قد تساعد في علاج وأمراض الروماتيزم والبرد، كما أن له دور جمالي للجسد فالمرأة الحامل مثلا يعتبر الحمام بالنسبة لها كشرط لتسهيل الولادة.

وفي اوائل القرن 18 عرفت الفائدة الطبية للحمامات حيث أنشئت سنة 1761 مؤسسة فوق نهر السين سميت حمامات ***بواتيفان poitevin*** ، وفي سان لآزار أقيمت حمامات ***Tivoli*** والتي كانت تحتوي على ظلال ومياه نافورية وهواء نقين متنزها للمرضى وللحمام شروط وقواعد ومنها ألا يدخل الحمام عند امتلاء المعدة،...